المنهج التاريخي في تراث الحوزة العلمية الحلية وأثرها على إيران

م.م ياسمين سلمان عبدعون الطرفي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

yasameen.s@uokerbala.edu.iq

07711906896

الملخص

تعد الحوزة من العناصر الرئيسة للمؤسسة الدينية الشيعية التي ادّت أثرا مهما في النظام التربوي الشيعي منذ انتظامها في القرن الرابع الهجري وحتى الان وكان لها أثر واضح في بلورة الشخصية الشيعية والمشاركة في نهضة الشعوب والوقوف ضد الظلم والطغيان عن طريق تعبئة الجمهور , وما زالت تمثل العمود الفقري للفكر الاصولي والعقائدي الشيعي . تعد الحلة المركز العلمي السادس بعد (المدينة المنورة والكوفة وقم والري وبغداد والنجف الاشرف) وعلى الرغم من أن الحلة احتضنت المدرسة العلمية ما يقارب اربعة قرون إلا اننا لم نلمس منها توثيقا يلامس مكانتها العلمية والتاريخية ، ولم تتضمن الدراسات مراحل نمو هذه المدرسة التي شغلت العالم وأسباب انكماشها ، ومن المؤكد أنها توسعت وزادت اهميتها وتوجهت الانظار اليها بعدما اصيبت بغداد بنكبة الاحتلال المغولي وبذلك هاجر علماء بغداد إلى الحلة ليزيدوا من رصانة علومها فأسهموا مع فقهائها وعلمائها بنشر العلوم وتعميقها فكثرت فيها بيوت المدارس واصبحت مركزا من مراكز الحركة العلمية في الاوساط الاسلامية.

الكلمات المفتاحية : الحوزة , العلم الشرعي , العلماء , المجتهد , الطالب .

Summary

The seminary is one of the main elements of the Shiite religious institution, which has played an important role in the Shiite educational system since its regularity in the fourth century AH until now and had a clear role in crystallizing the Shiite personality and participating in the renaissance of peoples and standing against injustice and tyranny through the mobilization of the public and still represents the backbone of the fundamentalist and ideological Shiite thought, Hilla is the sixth scientific center after (Medina, Kufa, Qom, Rai, Baghdad and Najaf), although Hilla embraced the scientific school for nearly four centuries That we did not touch from her documentation that touches her place.

.Keywords: seminary, Islamic knowledge, scholars, mujtahid, student

المقدمة

لقد حثنا الإسلام على التعلم والقراءة وخاصة إذا كان العلم مرتبط بالشرعيات وعلومه المتعلقة منه ولغته أي اللغة العربية والعلوم المساعدة لفهمه كالمنطق وغيره ولا شك أن دارس العلم الشرعي قد حباه الله واصطفاه بالتفرغ لهذا العلم وإن كل مكان للتعليم والتعلم الشرعي لابد له من التأثير فيما حوله فالمسلم يؤثر فيمن حوله ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا بعلمه وحضارته ورقيه.

ولتعلم العلم الشرعي قسمين ، فإذا كان البحث عن العلم الشرعي متعلقاً بفعل أمر ما أوجبه الله تعالى على العباد أو بمعرفة العلم المحظور الذى هو ما نهى الله عنه فشرف العلم بشرف المعلوم وما هو إلا غاية لرضا الإله والعلم يخرج العلماء الذين هم ورثة الأنبياء , ولما كان حديثنا عن الحوزة الصرح العظيم للعلم والعلماء فكان لابد من تسليط الضوء على علماء الحوزة ومؤلفاتهم العلمية في إيران فتلك آثارهم العلمية التي بها ورثوا الأنبياء والأئمة المهديين من بعدهم سلام الله عليهم أجمعين.

أهمية البحث :

إن أهمية البحث مستمدة من أهمية الموضوع الذى هو العلم الشرعي والعلماء وأهمية الدولة التي نتحدث عنها وهي إيران فالجامعات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية متخصصة في تدريس مواد الشريعة الإسلامية المختلفة ، ويتخرج كل عام آلاف الطلاب المؤهلين في القرآن ، والعقيدة الإسلامية ، وعلم حديث النبي الكريم (ص) ، وعلم الحديث.

مشكلة البحث :

إن مشكلة البحث تقوم على تحديد مدة الحوزة العلمية وربطها بالتقدم العلمي الثقافي في إيران بالطبع إن لكل شيء مراحل نمو ثم ازدهار ثم انكماش وضعف وإن العلم الشرعي يشمل كل جوانب الحياة فهل تكون كذلك مؤسسات العلم الشرعي على نفس الدرجة من الشمول والتدخل في شأن الحياة ؟خاصة ونحن نتكلم عن دولة دينية كإيران فهل الحوزة في العصر الحالي بنفس قوتها السابقة وهل التأثير العلمي الآن يعود أثره لأهل الحوزة أم لغيرهم ؟

وهل تأثيرات الحوزة في إيران تشمل الجانب العلمي فقط أم قد تشمل الجوانب الأخرى للحياة هذا ما يكون بعد سرد بحثنا وتكون ثمرة بحثنا هو الإجابة عن تلكم الأسئلة العالقة في أذهان كل من يتكلم عن الحوزة .

المنهج المتبع في البحث :

يقوم منهج البحث على الأسلوب التقريري معتمدا على المصادر الأصلية للحوزة وكذا معتمدا على المنهج الجغرافي في وصف إيران ولابد من المرور سريعا على المنهج الوصفي التاريخي لوصف الحوزة عبر العصور فنحن نتكلم عن مركز علمي عريق تمتد جذوره في التاريخ ومن ثم يكون منهج الاستنباط دربنا في ربط أسباب التقدم والآثار في المدينة المقصودة أعني إيران بالحوزة.

قسم البحث على ثلاثة مباحث : الاول منه بعنوان : الحوزة عبر التاريخ قيامها وأقسامها , وبين المبحث الثاني : مناهج التعليم في الحوزة العلمية , ووضح المبحث الثالث : آثار الحوزة العلمية في إيران.

المبحث الاول: الحوزة عبر التاريخ قيامها وأقسامها

الحوزة في اللغة :

في جمهرة اللغة : الحوزة حزت الشيء، احوزه حوزا، اذا جمعته اليك ،وحاز الراعي ابلة ، يحوزها حوزا اذا جمعها وساقاها ، ويقال فلان في حوزه فلان اي في ناحيته ومنع القوم حوزتهم اي ناحيتهم [1].

الحوزة في الاصطلاح :

ويطلق مصطلح الحوزة على حلقات الدرس الديني أوائل القرن الثالث الهجري وليس كما يعتقد أن اسم الحوزة بسبب الاجتماع بالطرق القديمة على الحلقات بدليل أن المدينة ومكة والأزهر الشريف يقوم بتلك الطريقة ولم يطلق على أحد منابر التعليم الديني تلك حوزة بل اختصاص التسمية بالشيعة الأمامية فعلا إن يقصد بها التلقي من المعلم مباشرة اي الجهة المتولية لشؤون الامة أو الطائفة وبيدها الإدارة لتدبير أوضاعها المدية والدينية ويكون فوق تلك المؤسسة المرجع الديني الأعلى وهو المجتهد الذى يرجع إليه عند الخلاف في المسائل .

الحوزات عبر تاريخ الأمامية :

كان الشيعة في القديم يعيشون تحت سطوة الظلم المسلط عليهم من قبل العباسيين ومن قبلهم كان الأمويين فلما دب الضعف في نفوس العباسيين تفرق الناس من حولهم وصاروا دولا وإمارات ومن تلك الدول التي ظهرت آل بويه والحمدانيين وآل مزيد في الحلة والشيخ محمد مهدى الآصفي هو الذى درس الموضوع دراسة تفصيلية فقسم تاريخ علم الفقه لمدارس عدة هي:

1- مدرسة المدينة المنورة :

وتبدأ من حياة النبي(صلى عليه واله وسلم) إلى اوائل حياة الإمام جعفر الصادق (علية السلام) وقد اوردت الروايات على أن أول من وضع أساس الفقه للمذهب هو الإمام جعفر بن محمد الصادق(علية السلام) الإمام السادس والمدينة كانت المنطلق الأول للرسالة فكان من فقهاء الصحابة مع أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام)عبدالله بن عباس وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويدل على ذلك قول الإمام الباقر (عليه السلام) لأبان ابن تغلب " اجلس في المسجد وافتي الناس فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك"[2].

وكان أول من ألف في الفقه والحديث الامام علي (عليه السلام) وسائر اولاده من بعده (عليه السلام اجمعين) ثم فقهاء الشيعة الذين ألفوا الحديث فكان أولهم محمد بن شهاب الزهري وتبعه عروة بن الزبير وكان على بن أبى رافع كما يقول النجاشي كاتبا حافظا جامعا كتابا في الفقه والوضوء والصلاة وسائر الأبواب ومنهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبى بكر ولا ننسى عصر الامام الصادق (عليه السلام) الذى صار بيته مدرسة يزدحم فيها رجال العلم وحملة الحديث من مختلف الطبقات ينتهلون موارد علمه حيث يقول ابن حجر (تنقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيتة في جميع البلدان [3]. ويظهر الجدل بعد عصره (عليه السلام) في بعض المسائل كالقياس والاستحسان والرأي ومدونات تلك الفترة لم تكن حديثة كاملة عدا مدونة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعظم تلك المدونات في تلك الحقبة اقترت على المدينة ولكن الذي يظهر أن المقاييس الفقهية لم تكتمل كباب الاجتهاد والأخبار المتعارضة فضلا عن قلة النقلة عن آل البيت (عليهم السلام) وهذا كله نضج واستمر في صورته الأخيرة عند حوزة الكوفة [4].

2- مدرسة الكوفة :

بدأت من أخريات حياة الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الغيبة الكبرى عام 329هجري وانتقل إليها بعض الفقهاء من المدينة المنورة وكانت الكوفة مركزا سياسيا ودينيا معروفا في العالم الاسلامي يقصد إليه طلاب العلم من كل مكان مما أدى إلى التلاقح الفكري والتجاري وكان له أثر في تطوير العلوم العقلية وقد غادر العديد من الصحابة صوب الكوفة التاركين المدينة(5). وما أن تنتهي الدولة الأموية وتظهر الدولة العباسية ويتولى الخليفة أبو العباس السفاح حتى ينتقل الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الكوفة وينشر مذهبه لقلة المعارضة السياسية آنذاك فتقربت الشيعة منه أيما تقرب وكان ينزل في الكوفة عند بني القيس وكان من بين الفقهاء الناقلين آبان بن تغلب الذى روى عن الإمام 3000 حديث وقد قيل إن تعداد الرجال الناقلين عن الإمام 40000رجل وألف في الكوفة الغراء 6600 كتاب كل هذا من الآثار العلمية للحوزة في الكوفة والذى يذكر من اقتصار العلوم آنذاك على الفقه والحديث فباطل بل شمل التفسير وعلوما أخرى ومما يدل على ذلك وجود فقهاء كانوا بمثابة موسوعات علمية مثل هشام بن محمد الكلبى الذى ألف نحوا من 200 كتاب وكان هناك بعض البيوت التي اشتهرت بالعلم والنسب لآل البيت (عليهم السلام)مثل آل أعين وبيت آل صفية ويا ليتها لو ظلت كذلك إلا أن أبو جعفر المنصور يتولى الخلافة وتشتد وطأته على آل البيت (عليهم السلام) فيفرون إلى الهرب من بطش وظلم العباسيين ولكنهم سيعودون مرة أخرى للكوفة في عهد المأمون الذى سيولي الوزارة للامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (6).

وأهم الآثار العلمية لتلك المدرسة تمثلت في شيوع التدوين فنحن نرى بداية التدوين كانت مند أيام الإمام الباقر (عليه السلام) وظلت تنمو في ظل الإمام الصادق (عليه السلام) الذى قال " اكتبوا فإنكم لا تحفظون إلا بالكتابة "(7). وكذا الآراء الفقهية للأمور التي استحدثت بعد عصر النبي (صلى الله عليه واله وسلم)ولم تكن موجودة من قبل ظهور مصطلح التقية وذلك عند ظهور الاختلاف في الفتاوي حيث كان آل البيت (عليهم السلام) يجارون الأحداث بالفتاوى ثم يبينون لأصحابهم وجه الحقيقة ومنها تعيين قواعد خاصة للاجتهاد وهذا عند التعذر للرجوع للإمام وخاصة القواعد في المسائل اليومية كالطهارة و الصلاة (8).

3- مدرسة قم والرى :

وتبدأ من الغيبة الكبرى للنصف الأول من القرن الرابع الهجري وهى المدرسة المعنية بالمبحث الثالث.

4- مدرسة بغداد : وتبدأ من وقت السفراء الأربعة من الغيبة الصغرى بسنة 260هجري حتى وفاة السفير على بن محمد السمري سنة 329ه ثم الشيخ المفيد والسيد المرتضى والطوسي 448هجري .

5- مدرسة النجف الأشرف : وتبدأ من 448-562 هجري

6- الحلة التي سنشير إليها كونها من أقدم الحوزات ولاننسى مدرسة **حلب** في سوريا وكذا جزين في لبنان (9) .

وأول من وضعه أي علم الفقه كأساس علمي وسياقات وقواعد ثابتة كان أبو جعفر محمد الطوسي حيث بدأ يعرضه على الطلبة في مجاميع وهو من طوس في إيران وقبر هذا الرجل في النجف الأشرف عند مرقد الإمام علي (عليه السلام) وبعد مولده بطوس تلمذ على يد الشيخ المفيد في العراق ت 408هجري وكانت دراسته منتظمة طول حياته في النجف الأشرف وكان يملي على طلبته كتاب الأمالي وهو مطبوع بإيران وكانت الحلقات في طور تقدمها حتى وصلت لعصر الشيخ علي بن حمزة بن محمد بن شهريارخزن الحرم ت573 هجري وبعد ذلك انتقل الشيخ للحلة وأتى الطلبة إليه للإفادة من علومه وكدلك اخد عن الشيخ محمد بن إدريس الذى ظل منتقلا منها إلى النجف باستمرار ثم استقر في الحلة وبدأت الحلة تستقر شيئا فشيئا (10)

وظل الطلبة والمدرسون يتوافدون الى حوزة الحلة حتى يأتي الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلى المعروف بالمحقق الحلي ت676هجري ويؤلف كتاب شرائع الإسلام ويظل الكتاب لعصرنا متداولا عبر الحوزات المختلفة وكذا شروحه المبسطة منها والمسهبة ومن أوسعها الشرح المسمى بجواهر الكلام الذى ألفه محمد الحسن الباقر النجفي وهذا مطبوع بإيران طبعات متعددة وكذا مطبوع بالنجف(11)

ولعل التوسع العلمي في الحوزات في هذه الحقبة خاصة الحلة كان نتيجة بلاء المغول ونكبة بغداد سنة 656 هجري ولذلك اجتمع علماء بغداد والعراق في الحلة فازدادت رصانة وجزالة العلوم الملقاة هناك وكثرت الدروس العلمية وصارت حوزة الحلة مركز آمنا للحياة العقلية الإسلامية بعيدة عن المشتتات الفكرية الخارجية وصارت متزعمة للعالم الإسلامي وكان ذلك على يد المحقق الحلي ومجهوداته في ذلك لا تحصى فظهر التحول الجديد في الاستنباط العقلي والفقهي ومما ساعد الحلة على ذلك دون غيرها من البلدان طيب مناخها وتطور صناعتها ولين أهلها وكان التعليم في تلك الحقبة قد بلغ ذروته من الرقي ولكن مهما يكن فإنه في ذلك الوقت كان التعليم منفصلا عن الدولة ولذا كانت الدروس في بيوت الفقهاء والمعلمين وذلك كون الحاكم غالبا ما كان غير شيعي وكان الطلبة يقدمون إلى الحلة من شتى ولايات الدولة العثمانية والجزيرة العربية والهند وفارس والشام وأفريقيا وبدأت الحلة في إنشاء أول جيلاتها علميا وثقافيا وظلت هكذا حتى ما سنذكره في المبحث الثالث ظاهرة مغادرة علماء من الحلة إلى إيران ومن المشايخ والعلماء في الحلة آنذاك آل طاووس وآل بطرق وآل نما وابن فهد الحلبى وظلت هذه الطائفة على وضعها من التعليم إلى أفول شمس القرن العاشر الهجري (12).

ويأتي إلينا بعد ذلك محمد بن إدريس العجلى الحلي بآراء جديد تخالف مشايخ مشايخه في كتاب السرائر وينقل مركز الحوزة من الحلة إلى النجف وكان ذلك في عهد المقدس الأردبيلي وتعلم في العراق على بعض تلامذة الشهيد الثاني وهو علي بن الصائغ التستري وأخوه عبد الله وكان من مصنفاته "زبدة البيان في شرح أيات القران (13)"

وان من أسباب مغادرة الحلة والاتجاه نحو النجف أن الشيخ الكركي كان قد صرح بأن طلب العلم في قرب ضريح الإمام علي (عليه السلام) ذو مثوبة عظيمة (14) فرحل أهل العلم من فارس صوب النجف عقيب تلك الفتوى التي خالف فيها إبراهيم القطيفى وقد عينوا الأردبيلي المرجع الأعلى للطائفة ومن ساعة انتقال طلاب فارس للعراق أصبحت الدروس تقلى باللغتين الفارسية والعربية بعدما كانت بالعربية فقط في الحلة وقد بين الدكتور مصطفى جواد أسباب بقاء اللغة في العراق ويذكر منها بقاء علماء حوزة الحلة فيها والقرآن الكريم والشعر العربي بالإضافة للغناء وحرية الأدباء وبقاء العرب في تلك المناطق بنفوذ ليست بالقليلة أما عن نتاج الحلة فقد وصل لأكثر من ستمائة عالم مجتهدين أكثرهم في المنطق والفقه والفلسفة والكلام والشعر والأدب والطب ومن شغف هؤلاء بالعلم أنهم كانوا يبيعون الطعام لشراء الكتب ولكن الفتوى السابق ذكرها لم تطبق تطبيقا كاملا لكون الشيخ القطيفي كان ذا نفوذ سياسي فكان على اتصال بالأمير نعمة الله الحلي الذى أسدل الغطاء على حوزة الحلة ويقينا إن مدة بقاء الحوزة بسبب ذلك الأمير كان ذا منتجات علمية ضخمة وأصبح ذلك جزءا لا يتجزأ من التاريخ(15)

المبحث الثاني : مناهج التعليم في الحوزة العلمية .

إن التعليم في الحوزات لا يتغير بتغير الأماكن إلا تغييرا طفيفا ويكون التغيير في المصادر مع عدم تغيير المضمون ويكون على ثلاثة مستويات هي :

1- المستوى الأول :

وفيه يحصل الطالب على مقدمات العلوم ويكون أشبه بنظام التعليم الأساسي في وقتنا الحالي فيسجل الحضور والغياب من قبل المعلمين ومساعديهم وتكون العلوم التي يدرسها الطالب هي العلوم الأساسية التي لابد منها ومنها الفرعي كعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة وبعد ذلك يدخل الطالب في علوم المنطق الذى هو معيار علم أصول الدين والفلسفة [16]

وعن الكتب التي تدرس فالنحو يبدأ الطالب فيه (بالآجرومية) وفى بعض الحوزات يبدلونه (بقطر الندى) لابن هشام أو شرح ابن عقيل ولا شك أن مستواهما أعلى من الآجرومية وأما عن كتب التصريف فيدرس التصريف للمازني وفى درس البلاغة يدرس الطالب كتاب(مختصر المعاني) للتفتازاني أو (جواهر البلاغة) للهاشمي ومما ينبغي التنويه له هو أن من يتقدم للدراسة بالحوزة هم طلابا قد تعلموا تعليما جامعيا أو ثانويا [17]

وفي تعلم أصول تلاوة القرآن الكريم يعتمد على كتاب الشرائع للحلى في الفقه وكان ذلك قديما ثم تطور وأصبحت تدرس بعض الرسالات كالعقيدة ويدرس بها كل ما يتعلق بالإله وكل ما يشمل أمور الدين وأصوله الخمسة :

1- التوحيد : وهو الاعتراف بالصانع للكون والخالق له.

2 - العدل: وهو تنزيه الله عن النقائض والمظالم فهو منزه سبحانه عن كل قبيح مشين ومتحلى بكل كمال رزين وكذا التكليف بما لا يطاق **[18].**

3- النبوة :وهى وظيفة نبوية ليست بالكسب بل بمحض اختيار واصطفاء الله .

4- المعاد : هو البعث للأجساد بعد الموت وإعادتها للحساب بعد فنائها فلولاها لضاعت فائدة التكليف .

5- **الإمامة** : وهى نيابة عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بعد موته في شؤون الدين والدنيا وبها التزم الشيعة جميعا حتى عصرنا الحالي مع وجود الخلاف في فروع تحديد الأئمة**[19]**.

2- **المستوى الثاني** :

وغالب الدراسة به ثلاث سنوات وقد تزيد قليلا وهى على ثلاثة أقسام وتسمى سطوح .

السطح الأول: وتكون المواد فيه أصعب من المستوى الأول ودون السطح الثاني وهى كما يلى .

1- دراسة الفقه النصف استدلالي من كتاب الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية

للشهيد الثاني والفرق بين الحوزات في دراسة الكتاب هو اختلاف الطبعات من مكان لآخر.

2- دراسة علم الأصول وهى على مرحلتين :

الأولى منهما يكون دراسة كتاب معالم الدين للشيخ حسن زين أو أصول الاستنباط للحيدري أو الموجز في أصول الفقه للسبحاني اما المرحلة الثانية ويكون المقرر فيها كتاب أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر.

3- دراسة تفسير القرآن وأصول الكلام وشيئا من الفلسفة الحديثة والقديمة وفى نهاية السطح الأول يكون الاختبار ثم ينتقل للسطح الثاني .

السطح الثاني :

1 دراسة كتاب الفرائد في الأصول للشيخ الأنصاري .

2 دراسة البداية في كتاب المكاسب وهو في العقود والمعاملات المحرمة والمحللة .

1 إكمال بعض من التفسير وأصول علم الكلام التي سبق الإشارة إليها في السطح الثاني [20].

السطح الثالث :

1 دراسة كتاب الأصول للآخوند الخراساني ويسمى كفاية الأصول .

2 إكمال كتاب المكاسب العقود والمعاملات المحرمة والمحللة.

3 دراسة كتاب نهاية الحكمة في الفلسفة .

4 إكمال دراسة القرآن الكريم من حيث معانيه وغوامضه.

بعد نهاية تلك المرحلة يكون الطالب قد استعد للمستوى الثالث ويجرى له أيضا اختبار لقياس مستوى الاستيعاب.

3- المستوى الثالث :

في هذه المرحلة يكون المعلم على درجة عالية حيث يقسم الدرس لقسمين :

الأول : بحث الفقه الاستدلالي ويكون في هذه المرحلة تنوع للكتب العبادية والشرعية والقضائية.

الثاني : تكون في دراسة أصول الفقه ويضاف للمرحلة السابقة جانبا من علم الكلام والتفسير والحديث الشريف وهى المرحلة التي تتكون شخصية طالب العلم فيها وذال لكثرة نظره في كتب أصول الفقه وهذه المرحلة تسمى بالبحث الخارج لكون المعلم غير ملتزم بقالب معين من الكتب كالمستويين السابقين حيث يكون المعلم عالما متمرسا ويكون الطالب في هذه المرحلة عرضة للمناقشة مع شيخه ومن المتوقع بعد نهاية تلك المرحلة أن يكون الطالب على أعتاب الاجتهاد[21] .

انتقال الحوزة :

يرتبط المرجع بالحوزة ارتباطا تكميليا فلا يمكن وجود درس حوزة بلا مرجع ديني يرجع إليه عند الخلاف فلابد للمرجع من تكوين حلقة يلقيها على كبار الطلبة وغالبا يكونون من طلاب المستوى الثالث البحث الخارج

فالمرجع الديني هو قمة الهرم في الطائفة الأمامية وقد ينتقل المرجع الديني فتنتقل الطلبة معه حيث حل وارتحل وهذا حدث كثيرا إذ انتقل عدة مراجع إمامية بين المدن التالية : سامراء الكوفة النجف الحلة كربلاء واخذ على ذلك مثالا وهو المرجعية الدينية الشيخ إبراهيم القطيفي والكركي فانحازت الدولة الصفوية للقطيفي فأمرأن تكون الحوزة والمرجعية في النجف عند مرقد الإمام علي(عليه السلام) وهذا لم يحصل مع الكركي فقط بل حصل مع كثيرين كالطوسي والبهبهاني والمجد الشيرازي وتطور التعليم في الحوزات تطورا كبيرا حيث أصبح الطالب في إمكانه اختيار حلقة الشيخ الذى يكون قريبا منه إما لتشابه اللغات أو لقرب المستوى الفكري[22]

وحتى وإن درس الطالب بغير الفارسية والعربية ففي نهاية التعليم يكون من كثر السماع قد أجاد اللغتين واتسمت الدراسة بأنها حرة على قدر كبير أجد تشابها بينها وبين الدراسة في الجامعات الحديثة من حيث أن المعلم يمكنه تحديد الكتاب في حالة وجود خيارات في المادة وقد مر ذكر ذلك في ذكر مستويات الدراسة ولا ننسى أن من أسباب التطور الحرية المالية اللذان كان السبب في بعدها عن التأثر بالسلطة وكذا عدم التأثر على مناهجها وكذا من أسباب التطور توفير فرص عمل للخريجين وإن كنا ذكرنا مميزات فكل عمل بشرى لابد له من نواقص ومن هذه النواقص عدم وجود المناقشات العلمية إلا في المستوى الثالث فقط وقد سبق الإشارة لذلك وكذا عدم التخصص في الدراسة فنحن نجد أن الباحث يدرس المواد الشرعية والعربية معا دون تخصص وهذا يؤدى لتشتيت ذهنه إلا أن هناك عامل جيد من ناحية تخريج مجتهد أصولي عالم بقوانين اللغة وهذا بلا شك يظهر أثره في الخريجين المتميزين وكذا من العيوب طول مدة الدراسة واختلافها باختلاف المعلمين والطلبة وأماكن الحوزات [23]

وعدم وجود أماكن منتظمة فمرة تكون الدراسة في بيت الفقيه ومرة في المسجد ومرة في مكان متوسط بين الطالب والمعلم وكذا إغفال الجوانب العلمية الحديثة في كتب الفقه والأصول وإفال الامتحانات المنتظمة لاختيار الطلبة فليس كل شيعي بالمستوى المطلوب للدراسة في الحوزة ولكن في العصر الحديث وجدت مناشدات للتطوير في الحوزة والمحاولة لجعلها بجزالة القديم في ثوب المعاصرة والمتتبع للحوزة منذ قيامها يرى التطور موضوع بين دفتيها فنحن نرى ان كل فقيه يحاول التثقيف والتهذيب لكتب الأصولي الذى سبقه ولكي يصل طالب الحوزة لمرحلة الاجتهاد لابد له من إجازة من احد مشايخه وهى بالمصطلح الحديث شهادة التخرج ولكن تزيد عليها بتحديد لقبه العلمي وهذه بمثابة ترخيص في نقل الروايات ولا تمنح الإجازات إلا لمن بلغ القمة العالية خاصة في علمي الأصول والفقه وهذه الإجازة تعني تفوق الطالب علميا ومعنويا يصلح للتصدر للفتوى [24]

وهذه الإجازة تشتمل على أشياء هي :

أولا : المجيز : وهو المعلم الذى سيجيز الطالب وهو من رؤوس وكبار الحوزة العلمية وكلما كانت مكانة الطالب أكبر دل على قوة المانح للإجازة

ثانيا : المجاز : وهو الطالب وأحيانا قبل أن يؤخذ الإجازة يجرى له المجيز اختبارا شفويا وتحريريا

ثالثا : الإجازة : وتتضمن ألفاظا مختلفة ومتباينة ولكن المضمون واحد وهو التصريح للطالب بالاجتهاد وكذا ذكر لقبه ومرتبته العلمية وهو السند الذى يثبت كفاءة الطالب[25]

المبحث الثالث : آثار الحوزة العلمية في ايران .

أولا: مدرسة قم والري

يعود أصلها لخروج والي سجستان محمد بن الأشعث على الحجاج بن يوسف الثقفي وكان في الجيش شخص يسمى عبدالله فلما انهزموا أمام الحجاج استوطنوا قم والتف حوله إخوته الخمسة الذين كانوا معه في الجيش وكان لعبدالله ابنا شيعيا إماميا انتقل من الكوفة إلى قم وهو صاحب السبق في نشر المذهب هناك واسمع عيسى [26] وكان في قم الأشاعرة فساهموا مع الشيعة في نشاط الحركة الفكرية والرواية والدراية خاصة علم الحديث [27] فكان تمرد بن الأشعث هو بذرة التشيع في بلاد فارس إيران حاليا حتى نما التشيع أيام الصفويين بعد أن كان السنة هناك منتشرين عدا بعض المناطق التي استفحل فيها الشيعة ولم يغادروها فأصبحت قم في إيران هي بؤرة التشيع وهى الناقلة له وبها الحوزات العلمية ومما ساعد في ذلك هجرة العلماء لقم بسبب البغض العباسي فنحن نرى تلميذ يونس من حبيب وصاحب الرضا إبراهيم بن هاشم الكوفي مما ساعد في انتشار الحديث والمحدثين هناك ومن رواد الحركة الفكرية آنذاك أبو جرير زكريا بن إدريس وتميزت تلك المدرسة عن التي قبلها بالتطور في البحث الفقهي وزادها حركة التدوين الحيثية ونحن نرى ذلك في كتب أهل المدينة والكوفة ماهي إلا تدوين شخصي مبعثر غير منظم الأبواب كما في تلك المدرسة وهى أيضا أول مدرسة جمعت احاديث الاحكام في كتاب الكافي ومن لم يحضره الفقيه وظهرت الكتب الفقهية الجوابية التي تكون إجابة على أسئلة الشيعة في أنحاء العالم[28]

هجرة العلماء إلى إيران :

أدرك الشاه اسماعيل الصفوي الحاجة الماسة لتعميق التشيع في ايران من خلال بناء فقهي وفكري متين بحكم أن غالبية الايرانيين لم يدخلوا بالتشيع بالفكر والاقناع بل بالإجبار هذا من جهة ومن جهة اخرى أراد أن يجعل إمبراطوريته شرعية اتجاه السنة التي تبنتها الدولة العثمانية فبعد الإكراه الذى حصل لأهل إيران على التشيع رسخ هذا المعتقد من خلال العلماء والكتب والمدارس فأحضر العلماء من جبل عامل ومنهم من قدم إيران دون دعوة الشاه وهذا ما أكد عليه أخوه الشاه عباس من بعده من خلال تعظيم الأضرحة [29]

وكان قدوم العلماء عن طريق الترغيب تارة والتهديد أخرى ومن صور الإغراءات الهدايا والأموال والعطايا وتعظيم الحكام والملوك للعلماء وكانوا يحصلون على أملاك عينية ونقدية ولدرجة التوقير التي وصل إليه العلماء في هذا العصر ان فوضوا إليهم أمور القضاء بين الرعية وقد قدر عدد العلماء في هذا العصر 97 عالما وقيل 63 كلهم قدموا من جبل عامل ولم يعد منهم سوى سبعة وقام هؤلاء العلماء بتنفيذ المخطط الصفوي ولكنهم أضافوا فيه بعض العقائد ومن ذلك ما أدخله الشيخ الكركي وهى النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي (عليه السلام) فالشيعة يحرمون الجهاد إلا في ظل المهدي وكل دولة كانت تقوم بذلك دون المهدي هي دولة طاغوتية وهذا كان يخالف مراد الصفويين الذين يريدون التوسع مما أدى بالشيخ الكركي إلى تطوير نظرية النيابة عن الإمام المهدي وهذه النظرية كان يتبناها بعض من علماء جبل عامل وبعد وفاة الكركي وابتعاد القطيفي عن

النجف وإقامته في الحلة يظهر أحمد بن محمد الملقب بالأردبيلي الذى كان على وفاق دائم مع الدولة الصفوية بل وطلبوا منه القدوم لإيران ولكنه رفض وظل في النجف حتى وفاته 993 هجري. [30]

رابعا: الكتب العلمية في إيران التي ألفت من علماء الحوزة

1- كتاب جامع عباسي للبهائي :

وهو من أعظم الكتب تأثيرا في تاريخ الشيعة وكذا فإن له كتابا آخر سماه خلاصة الحساب وكذا كتابه زبدة الأصول وكذا الفوائد الصمدية

فكتبه تدور حتى الآن في إيران بل وفى جميع الحوزات وإذا أردنا أن نطلع على قدرها فيمكننا النظر لكمية الشروح والتعليقات على كتبه

ولا ننسى كتب الحديث الثلاثة

2- وسائل الشيعة
3- بحار الأنوار
4- الوافي

فهذه أكملت الكتب الحديثية الأربعة القديمة المعتمدة في المذهب وهى الكافي للكليني وكتاب من لا يحضر الفقيه وتهذيب الأحكام للطوسي وكذا الاستبصار له أيضا فتمت الأربعة وبلا شك فمؤلفوا تلك الكتب أثروا سياسيا وثقافيا في الشأن الإيراني ومن تلك التأثيرات على وجه التفصيل بلورة الفكر الإسلامي في إيران وإعادة صياغته على أساس عقلي رصين كـ:

- حفظ الدين وبيان مسائله
- التأثير في القضايا السياسية في التاريخ الشعبي
- الحفاظ على سلامة النطق العربي وعلى هوية اللغة العربية في التأليف والنشر
- إعداد الملاكات المؤهلة في قيام المرجعية الإسلامية
- نشر الأحكام الإسلامية [31]

الخاتمة

تعد الحوزة من العناصر الرئيسة للمؤسسة الشيعية واثرها لا ينكر في النظام التربوي الشيعي منذ انتظامها في القرن الرابع الهجري وحتى الان وكان لها أثر في الشخصية الشيعية والمشاركة في نهضة الشعوب والوقوف ضد الظلم والطغيان عن طريق تعبئة الجمهور وما زالت تمثل العمود الفقري للفكر الاصولي والعقائدي الشيعي . وإن من مواطن التعلم الآن التي تفطن المسلمون إليها (الحوزة العلمية) وهي ليست بدعا في التعليم الشيعي بل إن دراسة العلوم الشرعية عند الشيعة منذ القدم , فنحن نرى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يبث علمه في الكوفة الغراء واستمرت حتى غيبة الإمام (عليه السلام) في القرن الرابع وكذا مدرسة قم التي ظهرت من الربع الأول من القرن الرابع وحتى نهاية القرن الخامس أيام السيد المرتضى وكذا مدرسة بغداد التي ظهرت من

النصف الأول للقرن الخامس إلى احتلال بغداد من قبل المغول سنة 656 هـ. وكذا مدرسة الحلة التي ظهرت من احتلال بغداد واستمرت إلى حياة الشهيد الثاني عام 965 هـ.

الهوامش :

(1) ابن دريد الازدي، جمهرة اللغة ،ج1،مشهد،1426، ص469.
(2) عبد الحسين شرف الدين ،مؤلفو الشيعة في صد الاسلام، مكتبة الاندلس، بغداد، د.ت، ،ص18، موسوعة طبقات فقهاء، اشراف جعفر سبحاني ، قم ، 1418،ص32.

(3) حسين الشاكري ، تدوين الحديث وتاريخ الفقه، قم،1418، ص 58. موسوعة طبقات فقهاء ،المصدر السابق، ص 375.
(5) هاشم معروف الحسني ، تاريخ الفقه الجعفري ، تقديم محمد جواد مغنية، بيروت،(د.ت)، ص171.
(6) حسين الشاكري، المصدر السابق، ص62.
(7) فخر الدين الطريحى ، المصدر السابق،ص76.
(8) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، بيروت، 1403، ص153.
(9) علي الطبطبائي، رياض المسائل ،قم، 1412، ص 25.
(10)علي ال كاشف الغطاء ، ادوار علم الفقه واطواره، بيروت ،1979، ص10.
(11) عبد الرضا عوض، شعراء الحلة السيفية أيام الإمارة المزيدية وما بعدها ، ص 43
(12)مدخل علم الفقه عند المسلمين والشيعة ، بيروت، 1993، ص64.

([13]) حسن الحكيم ، مدرسة الحلة العلمية ،قم، 1431،ص9.
([14]) حازم سليمان الحلي، الحلة واثرها العلمي والادبي ،قم، 1432،ص22.
([15]) هادي كمال الدين، مدرسة العلوم الشرعية، مجلة التوحيد ، العدد(2)، السنه الاولى، الحلة، 1959، ص11.

([16]) حسن الحكيم، المصدر السابق،ص 173.
([16]) عبد الرسول آل عنوز ،أصول الدين وفروعه، قم 1426، ص 8 .
([17]) حيدر نزار سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق ، بيروت2010،ص 17.
([20]) احمد زكي تفاحة ، اصول الدين وفروعه عند الشيعة الامامية، بيروت، 1971،ص55.

([21]) محمد رضا المظفر، عقائد الامامية، قم،(د.ت)، ص 67.

([20])محمد رضا المظفر، المصدر السابق، ص 69-70.
([21]) المصدر نفسه.
([22])حسن فاطمي، النظام التعليمي بين الحوزة والجامعة ،مقارنة وتقويم، مجلة فقه أهل البيت طهران ، ص 306.
([23]) المصدر نفسه
([24]) حيدر نزار سلمان ، المصدر السابق ،ص61.
([25]) الفياض، الاجازات العلمية عند المسلمين،بغداد،1967،ص34.
([26]) عبد الصاحب الدجيلي ، اعلام العرب،ص41.
([27]) حسين الشاكري ، موسوعة المصطفى والعترة،قم، 1417،ص260.
([28])مهدي فرهاني منفرد، هجرة علماء الشيعة في جبل لبنان الى ايران، بيروت، 2001، ص98، حسن العلوي الشيعة ، والدولة القومية في العراق 1914-1990، قم 1426، ص66
([29]) جعفر المهاجر، اعلام الشيعة، بيروت، 1431، ص11
([30]) المصدر نفسه.

([31]) محمد حسن محى الدين ، المعارك والخصومات الأدبية في العراق في القرون الثلاثة الأخيرة، أطروحة دكتوراه كلية الآداب الكوفة 2004 ، ص87.

المصادر

المصادر العربية والمعربة:

- ابن دريد الازدي، جمهرة اللغة ،ج1،مشهد، 1426.
- احمد زكي تفاحة ، اصول الدين وفروعه عند الشيعة الامامية، بيروت، 1971.
- جعفر المهاجر، اعلام الشيعة، بيروت، 1431.
- حازم سليمان الحلي، الحلة واثرها العلمي والادبي ،قم، 1432.
- حسن الحكيم ،مدرسة الحلة العلمية ،قم، 1431 .
- حسن العلوي، الشيعة والدولة لقوميه في العراق 1914-1990، قم، 1426.
- حسين الشاكري ، تدوين الحديث وتاريخ الفقه، قم،1418.
- حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، قم، 1417.
- حيدر نزار سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق ، بيروت2010..
- الشهيد الثاني لروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ،ج1.
- عبد الحسين شرف الدين ،مؤلفو الشيعة في صد الاسلام، ، بغداد، د.ت.
- عبد الرسول آل عنوز، أصول الدين وفروعه ،،قم، 1426.
- عبد الرضا عوض ،شعراء الحلة السيفية أيام الإمارة المزيدية وما بعدها ، بغداد، ٢٠٠٢.
- علي ال كاشف الغطاء ، ادوار علم الفقة واطواره، بيروت ،1979.
- علي الطبطبائي، رياض المسائل ،قم، 1412.
- الفياض، الاجازات العلمية عند المسلمين،بغداد،1967.
- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، بيروت، 1403.
- محمد رضا المظفر، عقائد الامامية، قم،(د.ت).
- مدخل علم الفقه عند المسلمين والشيعة ، بيروت، 1993.
- مهدي فرهاني منفرد، هجرة علماء الشيعة في جبل لبنان الى ايران، بيروت، 2001.
- موسوعة طبقات فقهاء ، اشراف جعفر سبحاني ، قم ، 1418 ..

الصحف والمجلات :

- حسن فاطمي النظام التعليمي بين الحوزة والجامعة، مقارنة وتقويم، مجلة فقه أهل البيت.
- هادي كمال الدين، مدرسة العلوم الشرعية، مجلة التوحيد ، العدد(2)، السنه الاولى، الحلة، 1959.

الرسائل والاطاريح :

- محمد حسن محى الدين ،المعارك والخصومات الأدبية في العراق في القرون الثلاثة الأخيرة ،أطروحة دكتوراه ،كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2004.